العرب
الخميس 2021/10/07
السنة 44 العدد 12202

# سوريون في حمص يداوون جراح الحرب بالفنون

## معرض للرسم والتصوير والنحت يضيء درب السلام

كيف ينسى الناس مآسيهم والزمن لم يعد قادرا على هذه المهمة بعد أن نفد الصبر على ما خلفته الحرب الأهلية السورية من مآس وقصص موجعة مازلت تسكن ذاكرة السوريين، لكن يبدو أن الفن كفيل بهذه المهمة، مهمة التطهير من خلال التعبير عن المشاعر التي تؤرق البعض، فمشاركة المواجع مع الآخرين تخفف العبء كما فعل شباب في المعرض الفني الأخير في حمص.

قصص موجعة بالألوان

حمص (سوريا) - بعد عامين من انقطاعها عن ممارسة هوايتها المفضلة، تمكنت الصيدلانية السورية ديالا دخيل (25 عاما) في نهاية المطاف من مواصلة رحلتها في الشفاء الذاتي من خلال الرسم. عرضت ديالا، وهي من سكان حمص، أعمالها الفنية في معرض عبور الذي أستمر إلى الرباع من أكتوبر الجاري بمشاركة 74 فنانا سوريا آخرين عُرضت أعمالهم التي تعبر عن معاناتهم في سنوات الحرب في المعرض الذي يقيمه ملتقى هارموني الثقافي في قصر الزهراوي بالحميدية في حمص.

بين أحضان حجارته السود القديمة وبنائه التاريخي احتضن قصر الزهراوي 130 عملا فنيا تنوع بين لوحات الرسم الزيتي والتصوير الضوئي والنحت، وتنوعت فيها الأفكار والآراء والأساليب والدلالات.

وأشار كامل عوض منظم المعرض إلى أن المعرض حصيلة تدريب استغرق 4 أشهر حيث انطلقت فكرة (عبور) من أن "الفن طريق للسلام" وأن بإمكان كل إنسان التعبير عن ذاته وشغفه في حال توافرت له المساحة الآمنة، ووجد من يؤمن به وبقدراته ويقدم له الدعم.

واستلهمت ديالا شغفها بالرسم من عشق والدها له، فنشأت وهي تتعلمه منه، لكن في عام 2013 تعرض للخطف ولم تسمع عنه ابنته شيئا منذ ذلك اليوم.

وقالت ديالا، "نحن نريد أن نوثق من خلال هذه الأعمال ما عشناه عن أيام الحرب. ومع أنه ليس من السهل على الواحد أن يصل إلى مرحلة مواجهة مشاعره والتعبير عنها، ولكن أنا بشكل خاص حاولت في هذه الأعمال التعبير عما عشته ورأيته في هذه الأزمة التي أرهقت كل السوريين".

وأضافت "كنت أخاف من نسيان ملامح والدي، فرسمته، كان الأمر قاسيا في كل مرة أحاول فيها أن استرجع ملامحه التي أحبها فيه. كان الأمر صعبا جدا خاصة وأنني انقطعت عن الرسم لمدة سنتين لم أقدر فيها العودة إلى مرسمي. المكان الذي أحبه كثيرا ويربطني روحيا بأشياء كثيرة".

ويقول النقاد إن هذه اللوحات الزيتية والمائية المعروضة، لا تكشف عن خيال جامح وفكر متقد وحسب، بل تكشف أيضا عن تقنية الرسم على الصور الضوئية لإضفاء بصمة غنية بالمعاني والدلالات لاسيما صور مشاهد الدمار للأبنية والشوارع التي أضاف عليها الفنان لمسات بسيطة أخرجتها من حيزها المألوف.

> فنانون كرسوا وقتهم ومهاراتهم لإثراء تجربة المشاركين في المعرض للتعبير عن مشاعرهم

وتحدثت ميار ملوحي (21 عاما) عما يعنيه الرسم بالنسبة لها، قائلة "الرسم أو الفن بشكل عام يعكس حياتي، فهو مثل الشباك العالي في غرفتك. يسافر بك إلى سماء صافية حتى لو كنت جالسا في غرفة مظلمة. يجعلك تشاهد من خلاله الدنيا كلها، هذا الشباك يكون في غالب الأوقات الصعبة ملاذا من الحياة والكثير من التفاصيل الموجعة التي نمر بها. من خلال الفن كنت أعبر عن أشياء كانت تصل لي ولو أنها لم تصل للكثيرين، لكنها كانت تخدمني نفسيا".

ولفت عوض لوكالة الأنباء السورية (سانا) إلى أن عشرة فنانين كرسوا وقتهم ومهاراتهم في إثراء تجربة المشاركين الشبان بالنصائح والخبرات للتعبير عما يجول في خاطرهم، وليتمكنوا معًا من العبور بفكرهم إلى العالم.

وفي جانب التصوير الضوئي وثق خمسة وعشرون شابًا وشابة بعدستهم لحظات اختاروها لتبقى إلى المستقبل، حيث أشار عبدالعزيز الدروبي من المشرفين على قسم التصوير إلى أن الصور التي التقطها الشباب اختاروها لينظر العالم بأعينهم ولتبقى هذه الصور محفوظة في أذهاننا كما هي، وتسرد لنا حكايات كثيرة عشناها خلال السنوات العشر الأخيرة.

وبيّن أنه شارك بصورة لبائع خضار وفواكه يركن عربته بسلام في زاوية أحد الأحياء المدمرة الذي يشهد عودة أهله إليه.

و شارك عبدالسلام شبلوط بصورة تضج بالأمل لعائلة تتوسط طريقا على أحد جوانبه بيوت مدمرة وعلى الجانب الآخر مشهد لإعادة إعمار ما دمرته الحرب في سورية.

وفي قسم النحت جسد ثلاثة عشر شابا وشابة بمنحوتاتهم روايات مروا بها في السنوات العشر السابقة لينقشوا التاريخ بأيديهم عابرين ومعبرين عما خالط أرواحهم، فلامسوا تراب الأرض بأيديهم وجعلوا منه فنا يروي قصصهم.

وقدم النحات خلدون شدود مدرب ومشرف بقسم النحت، عملا على شكل سفينة متهالكة غير قابلة للإبحار يجلس داخلها شخص محاولًا التجديف رغم الحبل الذي يقيد حركته.

وعلى جانب آخر من أركان القصر نثر أكثر من تسعة وثلاثين شابا وشابة فنهم بجميع ألوانه، واستطاعوا أن ينقلوا الواقع إلى ألواح قماشية ليخطوا بريشاتهم ألوانا تعبر عما مروا به في سنواتهم الأخيرة، وينسجوا لوحات من وحي خيالهم، ويشاركوا أفكارهم كما أحسوا بها.

تقاسم المعاناة مع الآخرين يخفف من وطأتها

واختصر وضاح منصور بلوحة تشكيلية رحلة سكان المدينة عبر سنوات الحرب، لكنهم لم يفقدوا الأمل بالعودة.

وشاركت ليندا ليوس بأربع لوحات جسدت إحداها مجموعة القوى المادية التي تتحكم بالإنسان بدءًا بالحبل السري عند الولادة وصولًا إلى المال والجشع والطمع التي تسبب الحروب والأزمات.

# مبادرة شبابية تحفظ التراث الغنائي للجدات الفلسطينيات

غزة (فلسطين) - أنتجت مبادرة شبابية استمرت لأكثر من ثلاثة أعوام في غزة ألبوما غنائيا يستهدف إحياء التراث الثقافي في سابقة تعد الأولى من نوعها في الأراضي الفلسطينية.

ويتضمن الألبوم الذي جرى إطلاقه حديثا ثماني أغنيات تراثية تحاكي قصصا مستوحاة من الحياة الفلسطينية منذ مطلع القرن الماضي في مسعى يستهدف حفظ التراث الشعبي الفلسطيني القديم.

وتبدي السيدة عبلة أبوعيسى في الخمسينات من عمرها سعادتها الغامرة لمشاركتها في الألبوم وتوثيق ما حفظته من والدتها من أغان تراثية يعود بعضها إلى عشرات ا لسنين.

وتشير أبوعيسى إلى أنها ساهمت في الألبوم بتوثيق ما حفظته من أغنيات رصدت كلماتها قصص الحياة التراثية القديمة في قطاع غزة من أجل نقلها إلى الأجيال الحالية والقادمة.

وتذكر أنها حفظت على مدار سنوات كلمات أغان تراثية من والدتها وعماتها المسنات فيما ساهم انخراطها في مبادرة جمع وتوثيق التراث الشعبي في فهم واستيعاب الكثير من المصطلحات القديمة.

وأشرف على إنتاج الألبوم الذي يحمل عنوان "دابا يا قلبي" جمعية "نوى" للثقافة والفنون التي تتخذ من مدينة دير البلح وسط قطاع غزة مقرا لها، بفضل تنسيق مع مؤسسات فلسطينية وأوروبية.

واحتوى الألبوم على أغان تعكس تراث وعادات وتقاليد قطاع غزة بما يحمل إرثه التاريخي من تنوع ثقافي ومجتمعي، تأثر بمرور العديد من الحضارات على مر الزمن.

الأصوات الشابة تخلد أغاني التراث

وخرج الألبوم إلى النور بعد جهد شبابي استمر مدة ثلاثة أعوام لجمع وتوثيق كلمات الأغاني وتجميعها من كبار النساء المعمرات في مناطق متفرقة من قطاع غزة الذي يقطنه زهاء مليوني نسمة.

وتقول أماني النجار عضو فريق المبادرة الشبابية، إن الفريق المكون من ثمانية شباب من الجنسين عمل بشكل مكثف على تتبع التاريخ الشفهي والتراثي للنساء المعمرات لجمع وتوثيق تراث الأغاني الشعبية.

وتوضح النجار أن الشباب المشارك في المبادرة تنقلوا في أحياء وأزقة مناطق متفرقة من قطاع غزة لاسيما مدينة دير البلح، للاستماع إلى القصص والأغاني التراثية وتوثيقها في ألبوم فني.

وتشير إلى أن الألبوم تضمن موضوعات مختلفة عبر كلمات الأغاني التي شملها "إذ كنا نتجمع ونقيم حفلات صغيرة حتى نكسر الجمود ونمهد لبدء السيدات كبار السن في الغناء من التراث القديم ومن ثم توثيقه".

وحظي مشروع جمع وتسجيل كلمات الألبوم التراثي بدعم مالي من مؤسسة دروسوس السويسرية، والوكالة السويسرية للتنمية والتعاون.

ويضم الألبوم أغان منها (ما بريدو و(نهورة) و(صف البراري) التي تتميز بها مدينة دير البلح ولها رقصة خاصة، تغنى في مناسبة ليلة حنة العروس، ويتم فيها الاحتفاء بالعروس وتزين كفيها بالحناء بحضور النساء من الأهل والأقارب والأصدقاء.

كما تتميز الأغنية التراثية بطقوس خاصة بحيث تصطف النساء في صفين متقابلين مناصفة وتتشابك الأيدي على الأكتاف، ويتبادلون الأدوار بغناء الأبيات بالتتابع، لتقوم النساء في الصف الثاني المقابل بالرد وبترديد الأبيات، ويقومون بأدائها طوال الليل حتى الفجر لكثرة الأبيات المغناة.

وعادة ما يتذكر كبار السن في قطاع غزة أغانيهم التراثية بكثير من السعادة وطاقة الفرح كونها تعود بهم لعقود طويلة إلى الوراء.

> ألبوم بعنوان «دابا يا قلبي» يتضمن ثماني أغنيات مستوحاة من الحياة الفلسطينية منذ مطلع القرن الماضي

وبفضل المبادرة الشبابية لتوثيق تلك الأغاني التراثية فإنها تضمن مكانا لها في زحمة هموم الحياة اليومية لسكان قطاع غزة كما يقول القائمون على المبادرة.

وتبرز ريم أبوجبر مديرة جمعية نوى للثقافة والفنون أن معظم النساء اللواتي تم لقاؤهن لحفظ وتوثيق الأغاني التراثية توفين لاحقا، ما يؤكد أهمية المبادرة الشعبية في إنقاذ تلك الأغاني في آخر لحظة.

وتوضح أبوجبر، أن ألبوم "دابا يا قلبي" يعد العمل الفني الأول على صعيد التراث الشعبي القديم في الأراضي الفلسطينية وحفظ الأغاني ذات الارتباط بعقود ماضية بما لها من طابع مميز من السحر والسعادة.

وتوضح أن الكثير من كلمات الأغاني التراثية القديمة احتاجت إلى إجراء أبحاث عديدة للوصول إلى جذورها ومعانيها؛ ومن ثم جمعها وترتيب سياقها لاسيما أن الكثير منها مرتبط بمدلولات تاريخية وبعضها يتجاوز عمرها المئة العام وتعود إلى فترة العهد العثماني في فلسطين.

وتنبه أبوجبر إلى أنه عندما تم إصدار ألبوم الأغاني فإنه حظي بتجاوب الكثير من النساء المعمرات في قطاع غزة واللاتي تجاوبن معه بدلائل عملية عبر مقتنيات قديمة ورثناها من أمهاتهن وجداتهن.

وتعد الأغنية الشعبية أحد عناصر التراث الثقافي غير المادي الذي يوثق القصص والعادات المرتبطة بكل مناحي الحياة في أوقات الفرح والحج والمولود وجميع المناسبات.

وبالوقوف على محتواها يساعد في التعرف على طرائق الحياة والعادات والشخصيات المؤثرة في ذلك الوقت، حيث إن بعض هذه الأغنيات مثلت فلسطين في مختلف عصورها القديمة منذ بداية القرن الماضي.

ويأمل القائمون على إصدار الألبوم الغنائي أن يمثل خطوة أولى في توثيق المزيد من الأغاني والرقصات الشعبية للتراث الفلسطيني لمنع اندثاره والإبقاء عليها حية في زحمة الأغنيات المعاصرة الرائجة في الأفراح الفلسطينية.

وهم يؤكدون أنه على أهميتها في الحفاظ على التراث الفلسطيني القديم بتنوعه، فإن أمثال مبادرتهم فردية كانت أم جماعية بحاجة ماسة إلى دعم رسمي جاد بما يضمن توسيع دائرة العمل الفني الثقافي وديمومته.